

45 Jeffrey R Holland

182nd Semiannual General Conference

Sunday Morning Session, October 8, 2012

الوصية الأولى والعظمى

الشيخ جيفري هولند

من رابطة الرسل الإثني عشر

لدينا حياة من التلمذة المتفانية نقدّمها إثباتاً على حبنا للرب.

إثني أشعر بالتعاطف مع التلاميذ الأحد عشر الذين بقوا مباشرةً بعد موت مخلص العالم أكثر ممّا أتعاطف مع أيّ مجموعة أخرى في التاريخ تقريباً. أظنّ أننا ننسى أحياناً كم أنهم كانوا لا يزالون قليلي الخبرة ويعتمدون بشكل كامل على يسوع بحكم الضرورة. لهم قال: "أنا معكم زماناً هذه مدّته ولم [تعرفوني]...؟"¹

ولكن طبعاً لم يكن قد أمضى معهم وقتاً كافياً أبداً بالنسبة إليهم. فتلاث سنوات ليست بفترة طويلة لدعوة رابطة رسل إثني عشر كاملة من بين قلة من المهتمين الجدد، وتطهيرهم من أخطاء الماضي وتعليمهم روائع إنجيل يسوع المسيح ثمّ تركهم يكملون العمل حتّى يُقتلوا هم أيضاً. كان هذا مستقبلاً مربكاً بالنسبة إلى مجموعة من الشيوخ الذين رُسموا حديثاً.

خاصّة في ما يتعلق بترك التلاميذ وحدهم. حاول يسوع أكثر من مرّة أن يقول لهم إنّه لن يبقى حاضراً جسدياً معهم، لكنهم لم يقدرُوا أو لم يريدوا استيعاب هذه الفكرة الصعبة جدّاً. يكتب مرقس في هذا الشأن:

"لأنّه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم: 'إنّ ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه. وبعد أن يُقتل يقوم في اليوم الثالث.

"وأما هم فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه."²

ثمّ بعد هذه الفترة القصيرة جدّاً من التعلّم والأقصر بعد من الاستعداد، وقعت الكارثة وبات ما لا يُصدّق حقيقةً. صُلب ربّهم ومعلمهم، ومستشارهم وملكهم. انتهت فترة خدمته الفانية، وبدا وكأنّ الكنيسة الصغيرة المجاهدة التي أسسها مصيرها الاحتقار والزوال. لقد رآه رسله في حالته بعد القيامة ولكنّ هذا شكّل مصدر ذهول إضافياً بالنسبة إليهم. لا شكّ في أنّهم راحوا يتساءلون: "ماذا نفعل الآن؟"، فنتطلّعوا إلى بطرس، كبير الرسل، للحصول على جواب.

أرجو أن تسمحوا لي هنا بأن أصف هذا الحوار بطريقتي الخاصّة وليس بكلمات النصوص المقدّسة. قال بطرس لشركائه: "أيّها الإخوة، لقد كانت هذه السنوات الثلاث الماضية مجيدة. ولم يكن أحدٌ ممّا ليتخيّل المعجزات التي شهدناها والألوهيّة التي نعمنا بها منذ بضعة أشهر فقط. لقد تكلمنا مع ابن الله بنفسه وصلينا معه وعملنا معه. لقد مشينا معه وبكينا معه، ولم يذرف أحدٌ دموعاً أمرٌ من دموعي في ليلة النهاية الرهيبة تلك. ولكنّ ذلك انتهى. لقد أنجز عمله وقام من القبر. لقد تمّ خلاصه وخلصنا. تسألونني إذاً: 'ماذا نفعل الآن؟' لا أعرف سوى أن أقول لكم أن تعودوا إلى حياتكم السابقة مبتهجين. أنا أنوي أن أذهب لأتصيّد!"

"وقال ستة على الأقل من الرسل العشرة الآخرين موافقين: "نذهب نحن أيضاً معك." كتب يوحنا، الذي كان واحداً منهم: "فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت."^٣

ولكن الصيد لم يكن جيداً لسوء الحظ. وفي الليلة الأولى التي عادوا فيها إلى البحيرة، لم يمسكوا شيئاً ولا حتى سمكة واحدة. ومع بزوغ الفجر، استداروا نحو الشاطئ وقد خاب أملهم، فرأوا شخصاً في البعيد يقول لهم: "يا غلمان هل أمسكنم شيئاً؟" فأعطاه هؤلاء الرسل الذين عادوا إلى كونهم صيادي سمك بحسرة الجواب الذي لا يريد أي صياد إعطاءه. فتمتموا: "لم نمسك شيئاً" ولزيادة الطين بلّة كانوا يُدعون بـ"الغلمان."^٤

فصرخ الرجل الغريب: "ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا"^٥ – وبهذه الكلمات البسيطة بدأوا يفهمون بسرعة من هو هذا الرجل. فمنذ ثلاث سنوات كان هؤلاء الرجال أنفسهم يتصيدون في هذه المياه ذاتها. وفي ذلك الوقت أيضاً، كما تقول لنا النصوص المقدسة، كانوا قد "تعبوا" الليل كله ولم [يأخذوا] شيئاً.^٦ ولكن رجلاً من الجليل على الشاطئ طلب منهم إلقاء شباكهم فـ"أمسكوا سمكاً كثيراً جداً"^٧ حتى أنّ شباكهم راحت تتمزق، وملاً السمك سفينتين وأثقلهما إلى حدّ أنّهما بدأتا تغرقان.

كان يتكرّر الأمر ذاته الآن. وهؤلاء "الغلمان" كما دعاهم عن وجه حقّ ألقوا شباكهم بحماسة "ولم يعودوا يقدرّون أن يجذبوا من كثرة السمك."^٨ عبّر يوحنا عندئذٍ عمّا بات واضحاً: "هو الربّ!"^٩. فقفز بطرس الذي لا يمكن كبحه من حافة المركب.

وبعد اجتماع سعيد مع يسوع المُقام، أجرى بطرس حواراً مع المخلص اعتبره نقطة التحول الأساسية للخدمة الرسولية بشكل عام ولبطرس شخصياً بالتأكيد، إذ انتقل هذا الرجل الصخرة إلى حياة جلييلة من الخدمة والقيادة المتفانية. نظر يسوع إلى سفنهم الصغيرة المتخلخلة وشباكهم البالية وكومة السمك المدهشة المكوّنة من ١٥٣ سمكة، وقال لكبير رسله: "يا سمعان بن يونا، أتحتبي أكثر من هؤلاء؟" فأجابه بطرس: "نعم يا ربّ أنت تعلم أيّ أحبّك."^{١٠}

أجاب المخلص على هذا الردّ ولكنه استمرّ في النظر في عينيّ تلميذه وسأل مجدداً: "يا سمعان بن يونا، أتحتبي؟" فأجاب الصياد العظيم للمرة الثانية ويعتريه الارتباك بلا شكّ بفعل تكرار السؤال: "نعم يا ربّ، أنت تعلم أيّ أحبّك."^{١١}

فأعطى المخلص مرّة أخرى جواباً موجزاً ولكنه سأل بطرس للمرة الثالثة بتفحص لا يتعب: "يا سمعان بن يونا، أتحتبي؟" وفي هذه المرحلة لا شكّ في أنّ بطرس شعر بالانزعاج فعلاً. ولعله تذكّر في قلبه ما حدث منذ بضعة أيّام فقط عندما كان قد سُئل سؤال آخر ثلاث مرّات وأجاب بالحزم ذاته – ولكن بالنفي. أو ربّما بدأ يتساءل إن كان قد أساء فهم سؤال المعلم. أو لعله كان يبحث في قلبه سعياً وراء تأكيد صريح للجواب الذي أعطاه بسرعة وبشكل يكاد يكون تلقائياً. ولكن مهما كانت مشاعره، قال بطرس للمرة الثالثة: "يا ربّ، ... أنت تعلم أيّ أحبّك."^{١٢}

عندئذٍ أجاب يسوع (واعذروني مجدداً هنا على وصفي الأمر بكلمات غير كلمات النصوص المقدسة) بما قد يشبه الجواب التالي: "لماذا أنت هنا إذا يا بطرس؟ لماذا عدنا إلى الشاطئ ذاته وإلى الشباك ذاتها ونحن نجري هذا الحديث ذاته؟ ألم يكن الأمر واضحاً عندها وأليس واضحاً الآن أنّي إذا أردت السمك، يمكنني الحصول على السمك؟ ما أحتاج إليه يا بطرس هو رسل – وأنا بحاجة إليهم إلى الأبد. أنا بحاجة إلى شخص يرعى غنمي وينقذ خرافي. أنا بحاجة إلى شخص يبشّر بإنجيلي ويدافع عن إيماني. أنا بحاجة إلى شخص يحبّني ويحبّني فعلاً ويحبّ ما أوكّني أبونا السماوي القيام به. فرسالتنا ليست رسالة ضعيفة. ليست مهمة عابرة. ليست متعذّرة ولا ميؤوسٌ منها وليس مصيرها الرمي في سلّة مهملات التاريخ. إنّها عمل الله القادر على كلّ شيء، وهي سوف تُغيّر العالم. لذلك يا بطرس أنا أطلب منك للمرة الثانية وأفترض أنّها الأخيرة أن تترك كلّ هذا وتذهب لتعلم وتشهد، وتعمل وتخدم بإخلاص حتى اليوم الذي سيفعلون بك ما فعلوه بي بالضبط."

ثم رَّبما قال متوجِّهاً إلى كلِّ الرسل ما مفاده: "هل كنتم طائشين مثل الكتبة والفرسيين؟ ومثل هيرودس وبيلاطس؟ وهل ظننتم مثلهم أن هذا العمل سيقتل عبر قتلي أنا بكلِّ بساطة؟ وهل ظننتم مثلهم أن الصليب والمسامير والقبر نهاية كلِّ شيء وأنَّ الجميع يمكنه أن يعود بسعادة إلى ما كان عليه قبل ذلك؟ أيها الغلمان، ألم يؤثر حَبِّي وحياتي في قلوبكم بشكلٍ أعمق من ذلك؟"

إخوتي وأخواتي الأحباء، أنا لست متأكداً ممَّا سنختبره يوم الدينونة ولكنني سأفاجأ إن لم يسألنا الله في هذا الحديث ما سأله المسيح بالضبط لبطرس: "هل أحببتني؟" أظنه سيريد أن يعرف إذا ما كنا قد استوعبنا في فهمنا للأمور الفاني جداً وغير الملانم إطلاقاً والطفولي أحياناً وصيَّة واحدة هي الوصيَّة الأولى والعظمى بين الوصايا – "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قَدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ."^{١٣} وإذا استطعنا في تلك اللحظة أن نتمتم: "نعم يا رب، أنت تعلم أيَّ أحبِّك"، قد يذكُرنا حينئذٍ أنَّ الميزة الأسمى للحبِّ هي دائماً الوفاء.

قال يسوع: "إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي"^{١٤}. لدينا إذاً أقرباء علينا أن نباركهم وأولاد علينا أن نحميمهم وفقراء علينا أن نُعلِّمهم، وعلينا أن ندافع عن الحقيقة. كما هناك أخطاء علينا أن نصحَّحها وحقائق علينا أن نشاركها وأعمال خير علينا أن نقوم بها. بالمختصر، لدينا حياة من التلمذة المتفانية تقدِّمها إثباتاً على حبنا للربِّ. لا يمكننا الاستسلام ولا العودة إلى الوراء. فبعد لقاء مع الابن الحيِّ لله الحيِّ، لا يعود أيُّ شيء كما كان قبل هذا اللقاء. يشكل صلب يسوع المسيح وكفارته وقيامته بداية الحياة المسيحيَّة وليس نهايتها. هذه الحقيقة وهذا الواقع هما ما سمح لمجموعةٍ صغيرة من صيَّادي الجليل عادوا إلى تأدية دور الرسل بلا "أيِّ كنيس أو سيف"^{١٥} بأن يتركوا شباكهم مرَّةً أخرى ويمضوا لصنع تاريخ العالم الذي نعيش فيه الآن.

إنني أشهد من أعماق قلبي ومن صميم نفسي لكلِّ من يسمع صوتي أنَّ هذه المفاتيح الرسولية قد تمَّت إعادتها على الأرض وأنها موجودة في كنيسة يسوع المسيح لقسدي الأيام الأخيرة. إلى أولئك الذين لم ينضموا إلينا بعد في قضيَّة المسيح العظيمة الأخيرة هذه، نقول: "نرجو منكم أن تأتوا". وأقول إلى أولئك الذين كانوا معنا ولكنهم انسحبوا وفضلوا اختيار بعض المقلبات الثقافية من وجبة الاستعادة وترك باقي الحفلة، إنني أخشى أن يواجهوا الكثير من الليالي الطويلة والشباك الفارغة. ندعوكم للعودة والبقاء صادقين وحبباً الله ومدِّ يد العون. وأنا أشمل في هذه الدعوة إلى الإخلاص الثابت كلِّ مبشِّر عائد وقف يوماً في بركة المعمودية رافعاً ذراعه وقال: "بموجب السلطة المُعطاة لي من يسوع المسيح."^{١٦} هذه السلطة كانت لتغيير هذا المهتدي إلى الأبد ولكن من المفترض بالتأكيد أن تكون قد غيَّرتكم أنتم أيضاً إلى الأبد. ونقول لشباب الكنيسة الذين يتهيَّأون للخدمة التبشيرية والذهاب إلى الهيكل والزواج: أحبوا الله وابقوا طاهرين من دم هذا الجبل وخطاياها. لديكم عمل هائل تقومون به، كما شدَّد عليه الإعلان الرائع الذي قام به الرئيس توماس مونسن صباح أمس. ينتظر أبوكم السماوي وفاءكم وحبِّكم في كلِّ مرحلةٍ من حياتكم.

وإلى كلِّ من يستطيع سماعي أقول إنَّ صوت المسيح يأتي رثاناً عبر الزمن ويسأل كلِّ واحد ممَّا طالما هنالك وقت: "أُتَحَبِّبني؟" وأنا نيابة عن كلِّ واحدٍ ممَّا أُجيب بكلِّ رُوحٍ وبشرفي: "نعم يا رب، نحن نحبُّك." وبما أننا وضعنا "يدنا على المحراث"،^{١٧} لن ننظر أبداً إلى الوراء حتَّى ينتهي هذا العمل ويحكم حبُّ الله وحبُّ القريب العالم بأسره. باسم يسوع المسيح، آمين.

ملاحظات

١. يوحنا ١٤ : ٩

٢. مرقس ٩ : ٣١-٣٢

٣. يوحنا ٢١ : ٣

٤. راجع يوحنا ٢١: ٥

٥. يوحنا ٢١: ٦

٦. لوقا ٥: ٥

٧. لوقا ٥: ٦

٨. يوحنا ٢١: ٦

٩. يوحنا ٢١: ٧

١٠. يوحنا ٢١: ١٥

١١. يوحنا ٢١: ١٦

١٢. يوحنا ٢١: ١٧

١٣. لوقا ١٠: ٢٧؛ راجع أيضاً متى ٢٢: ٣٧-٣٨

١٤. يوحنا ١٤: ١٥

١٥. Frederic W. Farrar, The Life of Christ (1994), 656؛ راجع الفصل ٦٢ للمزيد حول مصاعب هذه الكنيسة المؤسسة حديثاً.

١٦. المبادئ والعهود ٢٠: ٧٣

١٧. لوقا ٩: ٦٢

102

الوفاء

الحبّ

التلمذة

جيفري هولند

الإثنا عشر